

مساعي المؤرخ ابن كثير في تحسين صورة يزيد بن معاوية أ.م.د. د. أركان حميد نزياد العجمي كلية التربية - جامعة سومر

الكلمات المفتاحية: ابن كثير . التغاضي عن الاخطاء . الجرائم والموبقات

الملخص:

يؤرخ البحث لظاهرة تاريخيه برزت في افكار بعض مؤرخي التاريخ الاسلامي ومنهم المؤرخ ابن كثير؛ وهي تحسين صورته يزيد بن معاوية والتغاضي عن اخطائه وتبريرها، ولعظم خطر تلك الظاهرة فقد سلطنا الضوء عليها في هذا البحث وقسمنا البحث الى عدة محاور تعرفنا في المحور الاول على محاولات المؤرخ في وصف يزيد بالحكمة والذكاء، اما المحور الثاني فقد فصل في ترجيح الروايات وقبولها ورفضها، اما الثالث فكيف اخرج المؤرخ يزيد بانه حسن التدبير والسياسة، والرابع هو مبرراته في عدم ضلوع يزيد في سم الامام الحسن (عليه السلام) واحداث كربلاء والخامس تبرئته من جريمة واقعة الحرة وهدم الكعبة.

المقدمة:

تعد كتابات المؤرخين الشاميين من اكثر المدونات التاريخية تطرفا، اذ لوحظ ذلك من خلال التحريض العلني الذي ضمنته بعض نصوصهم التاريخية فضلا عن اخرى احدثت فتنا دينية ومذهبية في بلاد الشام ، وهذا ما لوحظ بطبائع المؤلفين التي امتازت بالتعصب والتمذهب، وقد اشار السبكي الى هذا المعنى بقوله: " فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْرِيخِ رُبَّمَا وَضَعُوا مِنْ أَنَاسٍ وَرَفَعُوا أَنَاسًا إِمَّا لَتَعْصَبَ أَوْ لَجَهْلٍ أَوْ لِمُجَرَّدِ اعْتِمَادٍ عَلَى نَقْلِ مَنْ لَا يُوَثَّقُ بِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْجَهْلِ فِي الْمُؤَرِّخِينَ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي أَهْلِ الْجُرْحِ وَالْتَّعْدِيلِ وَكَذَلِكَ التَّعَصُّبُ قُلٌّ أَنْ رَأَيْتَ تَارِيخًا خَالِيًا مِنْ ذَلِكَ"⁽¹⁾ والمؤرخ ابن كثير في طليعة اولئك المتطرفون الذي مزج بين فنون العلم المختلفة؛ فبالإضافة لكونه مؤرخا فقد اشتغل بعلم الحديث والتفسير وربما كان لذلك اثرا في شخصيته، اذ خرجت بعض كتاباته التاريخية ومواقفه تجاه قضايا الامه غير منصفه، وهنا تسعفنا الذاكرة التاريخية على ما اكده العلامة ابن خلدون من احوال المؤلفين: " فمنها التَّشْيِيعَاتُ لِلْأَرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَالِ الْاِعْتِدَالِ فِي قَبُولِ الْخَبَرِ أَعْطَتْهُ حَقَّهُ مِنَ التَّمْحِصِ وَالنَّظَرِ حَتَّى تَبَيَّنَ

صدقه من كذبه وإذا خامرها تشييع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأوّل وهلة وكان ذلك الميل والتشييع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتّمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله⁽²⁾.

لقد نالت تلك الصفة ما نالت عند المؤرخ الكبير ابن كثير واخذت من سمعته التاريخية وامانته الدينية الكثير، فقد اجهد هذا المؤرخ نفسه للأسف في ايجاد مبررات ومخارج للمأزق الكبيرة التي تورط بها يزيد بن معاوية عندما تسنم امور الدولة العربية الاسلامية. وانه للإنصاف القول ان المؤرخ ابن كثير لم يغفل بعض الروايات التي نالت من يزيد بن معاوية الا انه في احيان كثيرة يصمت تجاه بعض تلك المرويات ولم يعلق على بعضها او يردّها مخالفاً منهجه الذي سار عليه في توثيق بعضها، هذا مع رد بعض من تلك المرويات مزاجاً من دون الركون الى اي دليل او نص يؤيد مدعاه، وسنتناول الموضوع وفق المحاور التالية:

اولاً: النباهة والحكمة

وصفت كثيراً من المصادر الاسلامية يزيد بن معاوية بالخفة والطيش، فسلوك الرجل الاجتماعي والنفسي يتأكد من خلال ممارسته بعض العادات الوضيعة التي يأنف عوام المسلمين الاتيان بها، كيف ذلك والحال مع من يتولى زمام الامور ويخلف الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في ادارته امور المسلمين.

فمما يذكر في هذا الصدد ما ذكره المؤرخ المسعودي ان يزيد " صاحب طرب وجوارح وكلاب وقُرُود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي مَسْأَلِي ... ثم ملّ فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عِنْدِي ... ولتسدّد مغنّي وجهادي
ثم أمر المغنين فغنوا به"⁽³⁾.

لقد ذكرت بعض كتب التاريخ ان ليزيد بن معاوية علاقه متينة مع احد قردته تجاوزت منزلة ذوي القربى والمستشارين الذين يعتمد عليهم اذ كان يتصدر مجلسه، وكانت تعد له السباقات ويتوج بالتيجان والحلل⁽⁴⁾ فقد روي انه كان "يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك منه"⁽⁵⁾ وما ان مات الاخير حتى ان حزن عليه حزناً كبيراً وكأنه من السابقين الاولين اسلاماً "فحزن عليه وأمر بدفنه بعد أن كفنه، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه"⁽⁶⁾.

ولأجل هذا فقد كانت للرجل اهتمامات بعيده عن الحكمة ومنطق العقل، وهذا واضح من سيرته ونشأته التي تربى عليها وانشغاله على الدوام للصيد والشعر وامور اخرى لا تليق بمن يهتم بمصالح الامه العليا⁽⁷⁾.

مع كل الذي ذكر انفا من صفات واهتمامات ليزيد بن معاوية ينبري المؤرخ ابن كثير مدافعا عنه بطرح بعض الروايات التي ترفع من منزلته ساعيا من خلالها افهام القارئ ان يزيد بن معاوية منذ ان كان صغيرا كان صاحب نظر وحكمة وان والده معاوية بن ابي سفيان قد تنبه الى ذلك منذ زمن مبكر، جاء ذلك في الخبر الذي نقله مؤرخنا ان حوارا جرى بين معاوية بن ابي سفيان وزوجته الاخرى وكما تذكر الرواية انها ارادت الحط من منزلة يزيد فقال معاوية: ان يزيد خيرا من ابنك فقالت: لا لكنك تقدم ابنك يزيد عليه فقال معاوية: ساين لك ان يزيد افضل من عبد الله قبل ان تقومي من مقامك هذا، فدعا عبد الله فقال له: لقد رأيت ان الي لك كل ما سألتني عليه بدون تردد فاطلب ما تشاء، فقال: ان امنيتي ان تهب لي كلبا جيدا وحمار جيدا فقال معاوية: انت حمار واشتري لك حمار؟ وطلب منه الخروج، ثم استدعى يزيد فقال له مثل ما قال لأخيه عبد الله اطلب ما تشاء فقال يزيد: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْمُدَّةَ، وَأَرَاهُ فِي هَذَا الرَّأْيِ، حَاجَتِي أَنْ تَعْقِدَ لِي الْعَهْدَ مِنْ بَعْدِكَ، وَتُوَلِّيَنِي الْعَامَ صَائِفَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَأْذَنَ لِي فِي الْحَجِّ إِذَا رَجَعْتُ، وَتُوَلِّيَنِي الْمَوْسِمَ، وَتَزِيدَ أَهْلَ الشَّامِ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ لِكُلِّ رَجُلٍ فِي عِطَائِهِ، وَتَجْعَلَ ذَلِكَ بِشِفَاعَتِي، وَتَعْرِضَ لِإِيْتَامِ بَنِي جُمَحٍ، وَإِيْتَامِ بَنِي سَهْمٍ، وَإِيْتَامِ بَنِي عَدِي. فقال: مالك ولايتام بن عدي؟ فَقَالَ: لِأَتَهُمْ حَالْفُونِي وَانْتَقَلُوا إِلَى دَارِي"⁽⁸⁾

ويروي ابن كثير بخبر عن المدائني مرفوعا الى ابن عباس بنص لا يصمد امام النقد بين فيه الاخير حكمة يزيد بن معاوية عندما حل ابن عباس ضيفا على ابيه معاوية ابن ابي سفيان، اذ ذكر المؤرخ ان الاخير بعث ليزيد ليحضر المجلس فلما مثل بين يدي ابن عباس قدم له فروض التكريم و الترحيب وقدم التعازي لابن عباس في الامام الحسن (عليه السلام)، فاراد ابن عباس ان يرفع المجلس فأبى وقال: إِنَّمَا أَجْلِسُ مَجْلِسَ الْمُعَزِّي لَا الْمُهَيَّي، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَسَنَ فَقَالَ: رَجِمَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ أَوْسَعَ الرَّحْمَةِ وَأَفْسَحَهَا، وَأَعْظَمَ اللَّهَ أَجْرَكَ وَأَحْسَنَ عَزَاكَ، وَعَوَّضَكَ مِنْ مُصَابِكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبَى"⁽⁹⁾

حتى اذا انصرف يزيد بن معاوية من المجلس كما يذكر المؤرخ ابن كثير قال ابن عباس: إِذَا ذَهَبَ بَنُو حَرْبٍ ذَهَبَ عِلْمَاءُ النَّاسِ، ثُمَّ أَتَشَدَّ مُتَمَثِّلًا:

مَغَاضٍ عَنِ الْعَوْرَاءِ لَا يَنْطَقُوا بِهَا وَأَصْلُ وَرَاثَاتِ الْخُلُومِ الْأَوَائِلِ"⁽¹⁰⁾

وهكذا وظف مؤرخنا هذه النصوص في محاولات بائسة وخاسرة لإظهار يزيد بن معاوية في صوره الفطن اللبيب راجيا من خلال ذلك ان هذا الشخص هو المؤهل في قياده شؤون الامة ورعاية مصالحها وذهب المؤرخ ابعد من ذلك في زج هذا الرجل الطائش وجعله مصداقا من مصاديق الرواية التي وردت عن الرسول (صلى الله عليه واله سلم) بقوله: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ⁽¹¹⁾ وان بموت يزيد بن معاوية كما يرى مؤرخنا يختتم اخر هذا القرن

ثانيا: قبول الروايات الموالفة وتوهين الروايات المخالفة:

من خلال التجول في نصوص البداية والنهاية نجد المؤرخ ابن كثير يطلق عبارات والفاظ تثير الشك وكأن المؤرخ لم يستقر الى صحة هذه الرواية او تلك في القبول او الرفض، او ان يكتفي بالصمت، وكان هدفه من ذلك تضعيف الروايات التي تمس بسمعة يزيد بن معاوية مع ان مؤرخنا كثيرا ما يعلق على الروايات ويقطع بصحتها من عدمه في مواطن كثيرة.

جمله ما جاء في هذا السياق التعامل مع الرواية بشيء غريب سيما الروايات الثابتة الصحيحة من اجل اعادة تسويقها للمتلقي وإيهامه بضعفها واستخدام اشارات الغمز واللمز الخبيث وانقل هنا نصا تسالم المؤرخون بصحته وثاقته⁽¹²⁾ وكيف علق عليه مؤرخنا في سبيل توهين الرواية فقال ما نصه: ((وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ يَزِيدَ كَانَ قَدْ اشْتَهَرَ بِالْمَعَازِفِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغِنَا وَالصَّيْدِ وَاتِّخَاذِ الْعِلْمَانِ وَالْقِيَانِ وَالْكِلَابِ وَالنِّطَاحِ بَيْنَ الْكِبَاشِ وَالْذِّبَابِ وَالْقُرُودِ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُصْبِحُ فِيهِ مَخْمُورًا، وَكَانَ يَشُدُّ الْقِرْدَ عَلَى فَرْسٍ مُسَرَّجَةٍ بِحَبَالٍ وَيَسُوقُ بِهِ، وَيُلْبِسُ الْقِرْدَ قَلَانِسَ الذَّهَبِ، وَكَذَلِكَ الْعِلْمَانُ، وَكَانَ يُسَاقُ بَيْنَ الْحَيْلِ، وَكَانَ إِذَا مَاتَ الْقِرْدُ حَزَنَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: إِنَّ سَبَبَ مَوْتِهِ أَنَّهُ حَمَلَ قِرْدَةً وَجَعَلَ يُنْقِزُهَا فَعَضَّتْهُ وَذَكَرُوا عَنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ⁽¹³⁾))

وبهذا الشأن نود بيان الاتي:

اولا: نقل الرواية وكأنها رواية مرسلة خالية من السند التاريخي بالاكتفاء بعبارة وقد روي.
ثانيا: تضعيف الرواية من خلال كلمة -وقيل ان سبب موته- دلالة لفظية تشير الى ان المؤرخ لم يقطع بصحتها ما يقود في النهاية الى ان تلك الرواية ضعيفة.

ثالثا: يختتم الرواية بعبارة غامضة فذكروا عنه غير ذلك والله اعلم بصحة ذلك؛ عبارة توجي للقارئ ان هنالك اشياء غير صحيحة يجب على الانسان توخي الحذر منها.

من خلال اجماع بعض المؤرخين لحقيقة يزيد بن معاوية سيما ما يتعلق بشربه للخمر وملاعبة القروود والتي نقل المؤرخ كثيرا منها اوقعته في صراع نفسيا في كيفية التعامل مع تلك

النصوص فما بين القبول والنفي برز المؤرخ على استحياء بهذه المغالطات والمعالجات المفصولة لإقرار عيون من تولاهم حتى انه اصدر حكما بالقطع بضعف جميع الروايات التي تحط من منزلة يزيد بن معاوية التي نقلها ابن عساكر بقوله: ((وَقَدْ أُوْرِدَ ابْنُ عَسَاكِرَ أَحَادِيثٌ فِي ذِمِّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ كُلِّهَا مُوضُوعَةٌ لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا، وَأَجُودُ مَا وَرَدَ مَا ذَكَرْنَاهُ عَلَى ضَعْفِ أُسَانِيْدِهِ وَانْقِطَاعِ بَعْضِهِ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ⁽¹⁴⁾).

في حين اذا ضاقت بالمؤرخ السبل يحاول ان يؤطر الامر بطابع مذهبي وان تلك المرويات نتائج الكره والحقد تجاه يزيد بن معاوية، فيتهم الشيعة بصناعة بعض الروايات التي تنال من يزيد بقوله: "وَأَمَّا الرِّوَاظُ فَيَشْنَعُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتَرُونَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَيْسَتْ فِيهِ وَيَتَّهَمُهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالزُّنْدَقَةِ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكُ"⁽¹⁵⁾.

ولعل اغرب ما لاحظناه عند المؤرخ ابن كثير هو قبول الاستناد على المنامات فمما روي بهذا الشأن عن ابن عساكر عن ابو الفضل قاضي البحرين انه رأى يزيد بن معاوية في منامه قال: قلت له أأنت قتلت الامام الحسين (عليه السلام) فقال: له لا فقال: وهل غفر الله لك قال: نعم وادخلي الجنة ولم يعلق المؤرخ على هذه الرواية بشيء من تعليقاته المعهودة ولكنه في السياق ذاته ذكر الحديث الذي روي عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): "رَأَى مُعَاوِيَةَ يَحْمِلُ يَزِيدَ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَحْمِلُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ"؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِصَحِيحٍ"⁽¹⁶⁾ فسكت عن الاول لأنه يتوافق مع رغباته وميوله وانكر الثاني لأنه يحط من قدر سيده، انه التعصب الذي يفقد المؤرخ اعتداله في نقل الخبر.

ثالثا: الحلم وحسن الرأي

اورد المؤرخ ابن كثير في معرض سيرة يزيد بن معاوية انه كان يحمل صفات محمودة كثيرة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن التدبير والرأي في ادارة امور الدولة⁽¹⁷⁾.

وقد دعم تلك الصفات الجليلة بموارد تاريخية وحوادث ومواقف استشف من خلالها المؤرخ حلم الخليفة وحسن تدبيره وسياسته تجاه رعيته، فمما نقله بهذا الشأن ان معاوية بن ابي سفيان اوصى ولده يزيد بان له صاحب في المدينة واوصاه باكرامه، فقال له: ما اسم ذلك الرجل فقال: هو عبد الله بن جعفر فلما مثل الاخير بين يزيد بعد وفاة ابيه ضاعف له العطية التي كان يتسلمها ايام والده معاوية فقال جعفر: وَاللّٰهِ لَا أَجْمَعُ أَبَوَيَّ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ. فلما خرج من عنده رأى على باب يزيد بخاتي⁽¹⁸⁾ وصلن الى يزيد كهديّة من خراسان، فرجع وسأل يزيد ان يعطيه منها، ويزيد كما يقول المؤرخ لا يعلم بها وبحالها ومتى جاءت فقال له الحاجب: هذه اربعمائة وصلت من

خراسان وعلمها من الاموال والاقواف الكثير فأعطاهما كلها الى عبد الله فكان رد عبد الله كما يذكر قوله: "أَتَلُومُونَنِي عَلَى حُسْنِ الرَّأْيِ فِي هَذَا؟ - يَعْنِي يَزِيدٌ"⁽¹⁹⁾

على الرغم من ان المؤرخ ابن كثير اورد كثيرا من الصفات السيئة ليزيد بن معاوية الا انه يحاول مجددا وصفه من خلال بعض الروايات انه كان اذا سمعة طيبة و نسك وتدين، فكثير ما يردد المؤرخ ان يزيد اتجه للحج وذكر ان الاخير قاد الحج في سنوات متعددة وكعادته في توظيف النص لصالحه ينقل لنا المؤرخ ابن كثير ان يزيد غزا مدينه القسطنطينية سنة(49هـ) وقيل سنه(50هـ) وقد يقول قائل ان هذا ليس بالأمر المستغرب فقد كان الخلفاء والامراء يتجهون للحج ويعتبر ذلك من المهام الدينية والسياسية التي يتولاها هذا الامير او الخليفة، لكن المثير للاستغراب والاهتمام ان المؤرخ حاول ان يجعل من يزيد مصداقا للرواية التي وردت عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) اول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور له⁽²⁰⁾ اي ان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قد بشر بالرحمة والمغفرة ليزيد بن معاوية⁽²¹⁾

وقد اورد المؤرخ حوارا دار بين يزيد بن معاوية وابيه اراد من خلاله ان يجعل يزيد من الشخصيات التي تقتفي اثر الصحابة والخلفاء الاولين في سياسته، فقد ورد ان معاوية بن ابي سفيان سأل ابنه ماذا تفعل اذا آلت اليك امور الامة فقال: فيك الخير ايها الامير، فقال الا اخبرتي؛ قال: الا ان اعمل فيهم بسنة عمر بن الخطاب⁽²²⁾.

وينقل المؤرخ هنا ان عبد الله بن مطيع⁽²³⁾ من الرجال الذين قصدوا ابن الحنفية وناقشوا امر خلع يزيد بن معاوية وبيعته فلم يوافقهم الرأي، فقال ابن مطيع: انه يعاقر الخمر وتارك للصلاة ولا يلتزم بتعاليم الشرع وحدوده، فقال لهم: لم ارى من يزيد ما تذكرون وقد لازمته مدة من الزمن عن قرب فوجدته مداوما لصلاته طالبا الخير متفقه في دينه مواظبا لسنة رسوله⁽²⁴⁾.

رابعا: سم الامام الحسن (عليه السلام) وفاجعة كربلاء

على الرغم من صله النسب والقربة بين افراد البيت العلوي والاموي الا انها لم تصفو يوما ما؛ وذلك للمطامع الدينية والسياسية لأفراد البيت الاموي والذين اتبعوا كل السبل من اجل الوصول اليها.

ومنذ ان تسلم معاوية بن ابي سفيان ولاية الشام وما ان اغمض الخليفة الثالث عثمان بن عفان عيناه حتى اعلن نفسه خليفة على المسلمين متحديا الشرعية الدينية في المدينة المنورة المتمثلة بالامام علي (عليه السلام)، وعلى ذلك فقد ظل الامويين عبر تاريخهم الطويل متوجسين خيفة من ال البيت؛ وذلك لمعرفتهم وادراكهم جيدا ان اهل البيت(عليهم السلام) هم اصحاب

الحق الشرعي في خلافة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فضلا عن المكانة الدينية والاجتماعية التي كان يتحلّى بها ال البيت في نفوس المسلمين، فنصب الامويين العداء لكل امام من ائمه اهل البيت (عليهم السلام).

ومنذ ان تسلم الامام الحسن بن علي (عليه السلام) الخلافة اخذ معاوية بن ابي سفيان يثير المشاكل والفتن ولم يغمض له جفن الا ان يتخلص من شخص الامام (عليه السلام) بالرغم من الموائيق السياسية⁽²⁵⁾ التي وقعت بين الطرفين.

وعلى ذلك فقد اشارت بعض المصادر التاريخية ان معاوية بن ابي سفيان قد استخدم اساليب متعددة في سبيل اسقاط حكومة الامام الحسن (عليه السلام) لذلك فد لجأ في اخر المطاف الى الاسلوب الدنيء الذي عرف به الامويين وهو القضاء على الخصوم بالسم⁽²⁶⁾.

اشار جمع من المؤرخين ان مسؤولية اغتيال الامام الحسن (عليه السلام) هي بتخطيط وتدير من معاوية بن ابي سفيان⁽²⁷⁾، اما ابن كثير فلم يؤكد ذلك سوى اشارة عابرة بقوله: "وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ يَقُولُ: كَانَ مُعَاوِيَةُ قَدْ تَلَطَّفَ لِبَعْضِ خَدَمِهِ أَنْ يَسْقِيَهُ سُمًّا"⁽²⁸⁾.

ان اغتيال شخصية مهمة في التاريخ الاسلامي كالامام الحسن (عليه السلام) تتطلب مزيدا من التدقيق والتمحيص في الروايات وهذا ما عتاد عليه المؤرخ ابن كثير في الحوادث المشابهة، لكن يبدو ان مؤرخنا سامحه الله اراد ان ينفي التهمة عن معاوية بن ابي سفيان سيما وانه كان يتبوأ منصب الخلافة وأمرة المؤمنين ولا يجوز في نظر المؤرخ ان تهمه بهذه الجريمة التي لا تليق به في حين اشارت طائفة اخرى من المؤرخين ان هذه المرأة كانت على علاقة ببيت معاوية وانهم استعملوها عن طريق والدها الاشعث بن قيس ووعداها يزيد بالزواج ان هي اتمت الامر لكن شيئا من ذلك لم يحصل⁽²⁹⁾.

وهنا نريد ان نبين كيف اراد ابن كثير بأسلوب لا يخلو من التعصب والميول المذهبية ان يجنب يزيد بن معاوية هو الآخر من تهمة استهداف الامام الحسن (عليه السلام)، فقد ورد في البداية والنهاية انه روي عن جماعة ان يزيد بن معاوية بعث الى جعدة بنت الاشعث ووعداها بالزواج ان هي سمت الامام الحسن (عليه السلام) فلما نفذت الامر وتوفي الامام (عليه السلام) بعثت اليه فقال لها: اني لم اقبل بك زوجة للامام الحسن فكيف ان تكوني زوجتي ويعلق المؤرخ على هذا بقوله: "وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَعَدَمُ صِحَّتِهِ عَنْ أَبِيهِ مُعَاوِيَةَ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْأُخْرَى"⁽³⁰⁾ وبهذا يرى ان يزيد بن معاوية ليس المسؤول عن قتل الامام الحسن فنفي العلاقة بين يزيد وجعدة هي رفع التهمة عن يزيد بقتل الامام الحسن (عليه السلام).

ويرى احد الباحثين ان هؤلاء المؤرخين الذين اثبتوا ضلوع يزيد بن معاوية بسم الامام الحسن(عليه السلام) انهم ارادوا بذلك ابعاد التهمة عن والده معاوية بن ابي سفيان اذ كان بنظرهم ان الاخير هو من طبقة الصحابة ولا يمكن ان يصل الخلاف بينهم الى هذا الحد باغتيال الامام من قبله⁽³¹⁾.

ويبدو ان حادث اغتيال الامام كان بتدبير وتخطيط من الوالد والولد وانهم وعدوا المرأة بالزواج من يزيد ترغيبا لها لتنفيذ المهمة وهو محظ احتيال من هؤلاء الذين عرف عنهم عدم الوفاء بالعهود، وهذا الامر هو ما قسم المؤرخين الى فريقين كل فريق يلقي بالتهمة على من يراه هو المنفذ والمخطط لهذا الحادث.

ولعل الكلام عن القضية الحسينية وبيان تفاصيلها واحداثها وابعادها الدينية واثارها على الامه الاسلامية لربما تثقل كاهل البحث وتخرجه عن مساره ومحدداته واهدافه؛ اذا جاد كثير من العلماء والمفكرين في الاحاطة الشاملة منذ خروج الامام الحسين (عليه السلام) من المدينة وحتى استشهاد في كربلاء وبينت كثير من المدونات التاريخية اهم مضامين تلك الثورة واهدافها⁽³²⁾ وما نحن هنا الا ان نبين نوايا المؤرخ ابن كثير ومحاولاته في انقاذ يزيد بن معاوية من تورطه في قتل الامام الحسين (عليه السلام) او لتخفيف التهمة عنه قدر الامكان.

من خلال تحليل النصوص والعبارات التي وردت في البداية والنهاية نرى ان المؤرخ ابن كثير دائما ما يرجح الروايات التي تتناسب وميوله وتبلي تطلعاته وهي ان ما حققت بها من بعيد تثبت ان يزيد بن معاوية لم يرد بالامام الحسين سواء الا ان ينزل على بيعته كخليفة وان الذي حدث هو محض اجتهاد من قاده الجيش المنفذ لعملية الابداء التي حصلت في الطف، ويصرح ابن كثير في البدء على ان جزءا كبيرا من الجيش لم يكن راضيا عن الفاجعة، وان يزيد نفسه لم يكن هو الاخر راضيا، ويذهب ابعد من ذلك ان يزيد لو قدر على الامر لما قتل الامام الحسين (عليه السلام) ولعفى عنه⁽³³⁾.

ويستدل المؤرخ بذلك ان يزيد بن معاوية قد لعن ابن زياد وقرعه وعاتبه وشتمه على فعلته تلك، ولكن المؤرخ نفسه يرد بقوله ولكن لم يعزله على ذلك ولا ارسل يعيب عليه ويعلق كعادته المعهودة والله اعلم⁽³⁴⁾.

وفي هذا السياق نود الاشارة الى ان المؤرخ ابن كثير قد وقع في تناقض كبير في الوصف العام لسيرة يزيد، فقد بين لنا المؤرخ في بداية البحث ان يزيد بن معاوية كان على مستوى عالي من الحكمة والدهاء وحسن التدبير والسياسة، ومن جانب اخر اشار الى ان الاخير لم يكن على دراية

تامة بمجريات الاحداث السياسية والعسكرية، وانه عندما سمع بمقتل الامام الحسين (عليه السلام) دمعت عيناه واستشاط غضبا على ابن مرجانه ويقول "والله لو اني صاحبه لعفوت عنه ورحم الله الحسين"⁽³⁵⁾ فكيف يكون ذا فطنة ودهاء ولا يعلم ما يدور في بعض الامصار الاسلامية؟

ويتابع المؤرخ في دفاعه عن يزيد انه لم يكافئ الرسول الذي جلب سبايا الامام ورأسه (عليه السلام) وانه وضع الراس الشريف بين يديه قال: "أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي صَاحِبُكَ مَا قَتَلْتُكَ، ثُمَّ أَنْشَدَ قول الحسين بن الحُمام المُرِّي الشَّاعِرِ:

يُقْلِقُنْ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا"⁽³⁶⁾

واخذ يقرع ويعرض بابن مرجانه "قَبَّحَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ، لو كانت بينهم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بهم، وَلَا بَعَثَ بِكُمْ هَكَذَا"⁽³⁷⁾.

ولنا هنا وقفه مع مؤرخنا فقد ذكرت المصادر التاريخية وهو من ضمنهم ان يزيد عندما وضع الراس الشريف امامه اخذ يتمثل شعرا بأبيات ابن الزبير التي ذكرناها سابقا بمظهر من التشفي والشماتة من ال البيت (عليهم السلام) وذكر بعض المؤرخين كما سنرى لاحقا بان يزيد تمثل بها بعد حادثه الحرة، واخرى اشارت انه تمثل بها بعد مقتل الامام الحسين (عليه السلام)⁽³⁸⁾، ولربما قد تمثل بها يزيد بعد كلتا الحادثتين، اصف لذلك ان الحوار الذي دار بينه وبين السيدة زينب والامام السجاد (عليهما السلام)⁽³⁹⁾ ليثبت جليا مظهر التشفي والفرح الذي غمر يزيد بن معاوية بعد مقتل الامام الحسين واهل بيته (عليهم السلام) التي تناساها مؤرخنا واستفاضت المصادر التاريخية بنقلها وتوثيقها.

ويتابع المؤرخ الكثير موقف يزيد بن معاوية ومعاملة الامام علي بن الحسين (عليه السلام) ونساءه وذريته ويقول: ان نساء ال البيت نزلن في دار الخلافة وكان في استقبالهن نساء البيت الاموي بالعويل والبكاء والنحيب واقمنا مأتما على الامام الحسين (عليه السلام) لمدة ثلاثة ايام وكان يزيد بن معاوية لا يأكل طعاما الا وكان الامام الحسين (عليه السلام) معه وكان يلاطف الاخ الاصغر للامام علي بن الحسين (عليهما السلام)⁽⁴⁰⁾.

وعلى الرغم من الرواية اعلاه تتفق وما يطمح له المؤرخ الا انها قد وردت في بعض المصادر المتقدمة، وعليه فيمكن القول ان تلك المصادر هي الاخرى تحاول تبرئة يزيد من هذه التهمة، او ان الاخير تنصل من جريمة قتل الامام والقي بالتهمة على ابن مرجانة سيما بعد ان ادرك خطأ ما اقدم عليه وشدة خطورة ردة الفعل الاسلامية واستهجانها لهذا الامر.

انه لمن سخف القول فمن يقرأ هذه النصوص ليشعر ان المؤرخ يسخر من تلك العقول والا كيف يقيم المآثم ويجلس جنباً الى جنب مع الامام ويلاطفه، اذاً من الذي قتل فتية كربلاء ومثل بجثثهم وسى نساءهم ومثلوا امامه، انه التاريخ الذي يوالي السلطة ويلمع صورة الامراء والخلفاء. ثم ان المؤرخ بالغ كثيراً في هذا الرد الحسن، فلو نظرنا الى الروايات التي وردت عن ال البيت والتي نقلت لنا جانبا من اوضاعهم الاجتماعية وحالهم في الشام لرأينا عكس ذلك تماماً؛ فالشام قد تزينت قبيل دخول الركب الحسيني وانزل هذا الركب في خربة من خرائب الشام، وان يزيد هم بقتل الامام علي بن الحسين (عليه السلام) في اكثر من مناسبة بعد ان فضحه الامام والسيدة زينب (عليهما السلام) في مجلسه وبيننا بطلان دعواه ومبرراته في قتل الامام الحسين وسبي ال البيت (عليهم السلام)⁽⁴¹⁾

وفي قصه ترحيل سبايا ال البيت (عليهم السلام) الى المدينة لم ينسى المؤرخ ان يجمل صورة يزيد بن معاوية التي بدأها فقد ذكر ان الاخير لما ودع السبايا كرر اسفه مما وقع وتأنبه لابن مرجانه من قتل الامام الحسين (عليه السلام) وجهزهم بأحسن حال واکرمهم بمال وكسوة وجعل من يقود الركب الحسيني من افضل الرجال احتراماً وتكريماً لنساء ال البيت واوصاه بضرورة مكاتبته في اي حاجة لآل البيت (عليهم السلام)⁽⁴²⁾.

وبهذا تكون الميول المذهبية للمؤرخ المعيار الاساسي في سوقه للأحداث التاريخية فظهر تاريخه الكبير مشوهاً لأبرز الاحداث المفصلية في التاريخ الاسلامي سيما القضية الحسينية؛ ذلك لما كان يطرحه من الاحكام المتطرفة متناسياً المكانة الدينية السامية التي يتمتع بها الامام الحسين (عليه السلام) التي اكدتها النصوص القرآنية والسنة المتمثلة بحديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حتى انه استكثر على الامام اقامة العزاء له وتعظيم الفاجعة من قبل شيعته بقوله: "ولكنه لا يُحْسِنُ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْعَةُ مِنْ إِظْهَارِ الْجَزَعِ وَالْحُزْنِ الَّذِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُ تَصْنَعُ وَرِئَاءُ"⁽⁴³⁾.

خامساً: تبرئته من احداث واقعة الحرة:

تعد حادثة الحرة التي وقعت سنة (63هـ) من اشد الوقائع دموية في تاريخ الاسلام المبكر كيف لا وقد استهدفت مركز الاسلام الاول ومهبط الوحي ولا زال الاسلام غضاً طرياً، فجاء حدثاً مدوياً بين الامصار الاسلامية وقد انتهكت فيها الدماء والاعراض التي لم يرعوي فيها المستبichون الا ولا ذمة لقدسية المكان ومراقدة الصالحين فيها.

ويسرد الطبري تفاصيل تلك الواقعة ان يزيد بن معاوية أمر مسلم بن عقبة فأحدث له حادث فيكون الحصين بن نمير السكوني اميراً على الجيش وقال له: " ادع القوم ثلاثاً، فإن هم

أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا اظهرت عليهم فأبجها ثلاثا، فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند⁽⁴⁴⁾

وينقل اليعقوبي تفاصيل اشد الما من سابقه: ان يزيد وجه مسلم بن عقبة الذي وعد الخليفة بان يجعل عالي المدينة سافلها فوجهه في خمسة الاف مقاتل "فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل، وأباح حرم رسول الله، حتى ولدت الأبيكار لا يعرف من أولدهن، ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على انهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به، فيقال: بايع آية إنك عبد قن ليزيد، فيقول: لا! فيضرب عنقه⁽⁴⁵⁾

لسنا هنا في معرض التفصيل في حادثة تاريخية اثار جدلا واسعا بين المفكرين والكتاب لكن المهم هنا هو بيان المبررات التي اجهد فيها المؤرخ ابن كثير نفسه في سبيل رفع التهمة عن يزيد بن معاوية.

وعلى الرغم من اعتراف ابن كثير في الواقعة وانها من الحوادث التي قصمت ظهر يزيد، لكنه من جانب اخر يرى في يزيد بن معاوية فاسقا تخفيفا لتهمة الزندقة التي اتهم بها فيرى ان الفاسق لا يجوز خلعه لأجل ان لا تقع الفتنة ويرى ان في قتال اهل الحرة كفاية ولكنه يعترض على استباحة المدينة⁽⁴⁶⁾.

يحاول ابن كثير خلال الروايات ان يشير من بعيد الى ان اهل المدينة هم السبب في تلك الواقعة وذلك بالاستناد الى الاجراءات التي سلكها عبد الله بن عمر الذي لم ينقض عهد البيعة ليزيد بن معاوية وكما يروي عن ابن عمر قوله: انه جمع اهله وولده واولادهم بلزوم الطاعة والبيعة وانه سمع من رسول الله (صلى الله عليه واله) الناكث للبيعة غادر: "إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَنْكُثُ بَيْعَتَهُ⁽⁴⁷⁾.

وعلى فرض ان ابن عمر قد التزم ببيعة يزيد بن معاوية وأثر على نفسه بعدم مخالفة الرواية التي وردت انفا ففعله هذا ليس بحجة شرعية على المسلمين في جواز البقاء على بيعة من يجاهر بالفسق والفجور وخرج عن جادة الشريعة، وقد اشار الامام علي (عليه السلام) في احدى رسائله لمعاوية بن ابي سفيان الى هذا المعنى بقوله: "فَأَنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَوْهُ أَمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى، فَأَنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٌ، أَوْ بَدْعَةٌ، رَدَّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَأَنْ ابْنُ قَاتِلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى⁽⁴⁸⁾ فضلا عن ان الامام نفسه وهو امير

المؤمنين قد عفى عن اهل البصرة عندما نقضوا بيعته " فعفوت عن مجرمكم ورفعتم السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم" (49)

علاوة على ذلك فلو رأينا اقوال السلف في شخص يزيد لرأينا ان الرجل مطعون بعدالته وامارته، فالذهبي لا يرى في عدالته ولا بجواز الرواية عنه (50)، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يرى بخلافة يزيد وامارته للمؤمنين فمما ورد ان رجلا ذكر يزيد " فَقَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: تَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! وَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ عِشْرِينَ سَوْطًا" (51).

هذه النصوص التي اوردها المؤرخ هي لتحميل اهل المدينة وزر الحادثة وانه لمن العجب ان يتحمل الضحية تبعات السياسة الارتجالية الهوجاء، فهؤلاء كما يرى المؤرخ وقعوا في شر اعمالهم، فمن حق الخليفة اخضاع الناس الى طاعته.

ثم ينتقل المؤرخ ابن كثير الى المشهد الاخر بنص فاقد للقيمة والمبدأ الاسلامي بان يزيد بن معاوية لما بعث له قائده مسلم بن عقبة بشارة الفتح بما ذكر له الرسول "بَعَثَ رَوْحُ بْنُ زَيْنَاعٍ إِلَى يَزِيدَ بِبِشَارَةِ الْحَرَّةِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ قَالَ: وَأَقْوَمَاهُ، ثُمَّ دَعَا الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسِ الْقَهْرِيِّ فَقَالَ لَهُ: تَرَى مَا لَقِيَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ؟ فَمَا الَّذِي يُجِيرُهُمْ؟ قَالَ: الطَّعَامُ وَالْأَعْطِيَةُ، فَأَمَرَ بِحَمْلِ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ أَعْطِيَتَهُ" (52).

هذه الرواية وغيرها تشير الى ان سلوك الندم على بعض الافعال التي صدرت من يزيد هو اسلوب مفضوح درج عليه الاخير بعد ان يرتكب الاعمال المخزية كما رأينا ذلك في واقعة كربلاء وسماعه نبأ استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) والظهور بمظهر الاب العطوف الذي يهتم بالامة ومصالحها وانه لمن العجب ان يعتقد بعض المؤرخين بصحة هذا الادعاءات والتصديق بها ولربما عدها اخرون فنا سياسيا للخروج من تلك التهم والجرائم التي احدثها .

ثم ينتقل المؤرخ الى مشهد اخر بان التشفي والشماتة التي ظهرت على وجه يزيد بن معاوية ما هي الا كذب محض من صنع الروافض كما يقول وان ابيات ابن الزبيرى التالية هي من نسج هؤلاء القوم كما يقول المؤرخ :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأُسْلُ

حِينَ حَلَّتْ بِفَنَائِهِمْ بَرْكُهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأُسْلُ

قَدْ قَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَأَعْتَدَلْ (53)

ولم يجزم المؤرخ ابن كثير في صحة تمثل يزيد بهذه الابيات بل اشار بان ذلك قد يكون من صنع الشيعة بقوله انهم زادوا هذا البيت: "وَقَدْ زَادَ بَعْضُ الرِّوَاظِ فِيهَا فَقَالَ:

لَعَبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلِكِ فَلَا ... مَلَكٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ"

ثم يقول "فَهَذَا إِنْ قَالَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَهُ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ وَضَعَهُ عَلَيْهِ لِيُشَنَعَ عَلَيْهِ بِهِ وَعَلَى مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ"⁽⁵⁴⁾ اي ان المؤرخ لازال يرى ان هنالك من يحاول ان يشهر بساداته.

سادسا: هدم الكعبة:

تعد جريمة هدم الكعبة من اعظم المصائب التي مرت على المسلمين؛ كيف لا وهي قبله المسلمين ومركز الدعوة الاول، والادهى من ذلك ان يكون الأمر في ذلك هو خليفة المسلمين.

توجه مسلم بن عقبة بعد المصائب والكوارث التي احدثها في المدينة المنورة لإخضاع ابن الزبير المعارض للسلطة الشامية، وقد اوصى ان يكون الحصين بن نمير اميرا للجيش ان حدث له حادث⁽⁵⁵⁾، ولم يستطيع ابن الزبير الصمود في المعارك التي جرت خارج مكة المكرمة فما كان منه الا ان ينسحب ويتحصن في الكعبة المشرفة ما حدا بالحصين بن نمير الا ان ضرب الكعبة بالمنجنيق وحدث فيها الخراب والدمار واحرقت الكعبة وتهدمت جدرانها وسقط سقفها⁽⁵⁶⁾.

فيما اشارت مصادر اخرى ان عملية حرق الكعبة ابان حصار جيش الحصين بن نمير انما كانت بفعل الشرر المتطاير من قبل احد اتباع عبد الله بن الزبير الذي كان يحمل مشعلا او ما يشبه ذلك فتطاير الشرر بفعل الريح العاصف⁽⁵⁷⁾.

ويبدو ان هؤلاء المؤرخين قد نقلوا الخبر عن سبقهم ولم يتبينوا صحته من عدمه او انهم ارادوا عدم تحميل جيش الشام مسؤولية حرق الكعبة المشرفة فلا يعقل ان قبسا من النار يلتهم الكعبة بأركانها وبسقفها ولم يتدارك المسلمين ذلك الا اذا كانت منجنوقات الشاميين هي من احدث هذا الحريق الهائل.

من الواضح جدا ان تشكيله جيوش العربية الاسلامية هي من اختصاصات مركز الخلافة وهي التي تامر وتنهى في تحريك الجيوش، وقد تشكل هذا الجيش الذي اتجه للمدينة المنورة واخضاعها ومن ثم الى اخضاع ابن الزبير في مكة المكرمة بأمر من يزيد بن معاوية وطبيعي ان لا يقدم على اي فعل او قول الا ويأخذ الاوامر والتعليمات من مقر الخلافة، فيذكر المسعودي مانصه: "وخرج يزيد مشيعا لهم وموصيا. فقال لمسلم بن عقبة فيما وصاه به: ان حدث بك حدث فالأمر الى الحصين بن نمير، وإذا قدمت إلى المدينة فمن عاقبك عن دخولها أو نصب لك حربا فالسيف السيف ولا تبقى عليهم وانتهبها عليهم ثلاثا واجهز على جراحهم. واقتل مدبرهم. وان لم يعرضوا لك، فامض الى مكة فقاتل ابن الزبير. فأرجو ان يظفرك الله به"⁽⁵⁸⁾

ودليل اخر ان استخلاف الحصين بن نمير كان رغما عن مسلم بن عقبة بقوله: "يا برذعة الحمار، والله، لولا أنّ أمير المؤمنين عهد إليّ- إن حدث بي حدث- أن أستخلفك لما وليتك، ولكن انظر وصيتي، وإياك والمخالفة"⁽⁵⁹⁾ لكنه نفذ الامر بحذافيره امثالاً لأمر الخليفة وبذلك تكون الاوامر الصادرة من القيادة المركزية هي اوامر واجبة الطاعة والتنفيذ من قبل القادة الميدانيين، ولو كانت تلك الافعال محظ اجتهادات من قبل هؤلاء بدون علم الخلافة فلماذا لم نرى عقوبات العزل او الاقصاء من مناصبهم جراء مخالفتهم لتلك الاوامر.

وعلى الرغم من ان ابن كثير قد نقل ما رواه الواقدي بان جيش الشام "تَصَبُّوا الْمَجَانِيقَ عَلَى الْكُعْبَةِ وَرَمَوْهَا حَتَّى بِالنَّارِ، فَاحْتَرَقَ جِدَارُ الْبَيْتِ"⁽⁶⁰⁾ ونقل ايضا ما رواه المؤرخون من ان سبب الحريق الذي شب في اركان الكعبة انما كان بفعل النار المتقدة حول الكعب والشر المتطاير ما بين الركنين الاسود واليماني في الكعبة⁽⁶¹⁾. لكنه لم يحمل مسؤوليه الحادث لجيش الشام او ان يدين ذلك الحدث الذي يعد من الاحداث المهمة والاكثر اهمية في التاريخ الاسلامي وصمت عنه كما صمت عن احداث تاريخيه اخرى اراد من خلالها ان لا يحمل يزيد بن معاوية مسؤولية ما جرى.

الخاتمة والنتائج

- 1- ان الميول المذهبية للمؤرخ ابن كثير اخرجته من حال الاعتدال والانصاف فخالف في ذلك امانة المؤرخ في نقل الحقيقة التاريخية، فرفع من سمعة بعض الشخصيات ووقع بأخرى
 - 2- وقع المؤرخ بالكثير من التناقضات فهو من جانب يروي الاحداث والجرائم التي ارتكها يزيد بن معاوية ومن جانب اخر يشحذ الهمم في سبيل ايجاد مبررات ومخارج لتخفيف وطأة النصوص التاريخية التي تدين يزيد بن معاوية واشتراكه فيها.
 - 3- لاحظنا ان هنالك جمع من المؤرخين اتبع نفس الاسلوب في تغيير الحقائق التاريخية بسبب التطرف الديني والمذهبي وهذا ما يتطلب دراسات اخرى تسلط الضوء على هذه الظاهر.
- الهوامش:

(1) طبقات الشافعية ، 22/2.

(2) المقدمة، 46/1.

(3) مروج الذهب ، 377/1.

(4) المصدر نفسه ، 377/1.

(5) ابن شاعر ، فوات الوفيات ، 330/4.

- (6) المصدر نفسه ، 4/330 .
- (7) المسعودي ، مروج الذهب ، 1/377.
- (8) البداية والنهاية ، 8/248.
- (9) المصدر نفسه ، 8/251.
- (10) المصدر نفسه ، 8/251.
- (11) المصدر نفسه ، 8/251.
- (12) وردت هذه الرواية بصيغ متعددة اشارت لنفس المضمون فقد ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين في ج2/ص84؛ وذكرها ابن قتيبة في عيون الاخبار في ج2/ص271 ؛ وذكرها المسعودي في مروج الذهب في ج1/ص377 ؛ وذكرها ابن حبان في الثقات في ج2/ص314 انه توفي في حال رقص وسكر ؛ وذكرها ابن شاکر الكتبي في ج4/ص330 وغيرهم من المؤرخين الذين ذكروا الرواية باجتزاء في اماكن متفرقة من مؤلفاتهم.
- (13) البداية والنهاية ، 8/258 .
- (14) المصدر نفسه ، 8/254 .
- (15) المصدر نفسه ، 8/256 .
- (16) المصدر نفسه ، 8/259 .
- (17) المصدر نفسه ، 8/258 .
- (18) البُخْتِيَّةُ: الْأُنْثَى مِنَ الْجَمَالِ الْبُخْتِ، وَهِيَ جَمَالٌ طَوَالُ الْأَعْنَاقِ، وَيُجْمَعُ عَلَى بُخْتٍ وَبَخَاتٍ. ابن منظور ، لسان العرب ، 4/437.
- (19) البداية والنهاية ، 8/252 .
- (20) البخاري ، صحيح البخاري ، 4/42 ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، 25/133.
- (21) البداية والنهاية ، 8/251 .
- (22) المصدر نفسه ، 8/251 .
- (23) عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي: من رجال قريش، وشجاعة. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان على قريش يوم الحرة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة، ثم سكن مكة. واستعمله ابن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار ابن أبي عبيد منها، فعاد إلى مكة، فلم يزل فيها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له، توفي سنة 3هـ ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 5/110 ؛ ابن حبان ، الثقات ، 3/219 .
- (24) البداية والنهاية ، 8/256 .
- (25) للمزيد ينظر: ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، 43 ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، 200 ؛ ابو الفدا ، المختصر ، 1/182 .
- (26) اشار ابن ابي اصيبعة الى العلاقات المتينة التي كان تربط معاوية مع اطباء متخصصون بصناعة الادوية والسموم مثل الطبيب ابن اثال فيذكر المؤرخ: "ولما ملك معاوية بن أبي سُفْيَان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إِلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرَ الْاِفْتِقَادِ لَهُ وَالاعْتِقَادَ فِيهِ وَالْمَحَادَثَةَ مَعَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَكَانَ ابْنُ أَثَالٍ خَبِيرًا بِالْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ وَالْمَرْكَبَةِ

- وقواها وَمَا مِنْهَا سُمُومٌ قَوَاتِلَ وَكَانَ مُعَاوِيَةَ يَقْرِبُهُ لَذَلِكَ كَثِيرًا وَمَاتَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ وَالْأُمَرَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّمِّ ، ام الطيب ابو الحكم فقد وفقد ذكر المؤرخ: "كَانَ يَسْتَطْبُهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي تَرْكِيبَاتٍ أَدْوِيَةٍ لِأَعْرَاضٍ قَصْدَهَا مِنْهُ" ، عيون الانباء ، 171- 175 .
- (27) ابن اعثم ، الفتوح ، 318/4 ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، 48 ؛ الطبري ، دلائل الامامة ، 159 ؛ الامين ، اعيان الشيعة ، 575/1 .
- (28) البداية والنهاية ، 47/8 .
- (29) ينظر: المقدسي ، البدء والتاريخ ، 5/ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، 226/5 ؛ ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، 174 ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، 253/6 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، 68/12 ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، 210 .
- (30) البداية والنهاية ، 47/8 .
- (31) الرمضاني ، الاغتيال بالسّم ، 103 .
- (32) لمزيد من الاطلاع ينظر: القرشي ، حياة الامام الحسين(عليه السلام) ؛ الصدر ، اضواء على ثورة الامام الحسين(عليه السلام).
- (33) البداية والنهاية ، 221/8 .
- (34) المصدر نفسه ، 221/8 .
- (35) المصدر نفسه ، 208/8 .
- (36) المصدر نفسه ، 208/8 .
- (37) المصدر نفسه ، 211/8 .
- (38) عن ذلك ينظر: الدينوري ، الاخبار الطوال ، 267 ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، 12/6 ؛ ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، 119 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، 343/5 .
- (39) الطبري ، تاريخ الطبري ، 464/5 ؛ ابو العرب ، المحن ، 156 .
- (40) البداية والنهاية ، 212/8 .
- (41) عن ذلك ينظر: الطبري ، تاريخ الطبري ، 464/5 ؛ ابو العرب ، المحن ، 156 .
- (42) البداية والنهاية ، 212/8 .
- (43) المصدر نفسه ، 221/8 .
- (44) تاريخ الرسل والملوك ، 484/5 .
- (45) تاريخ اليعقوبي ، 209/1 .
- (46) البداية والنهاية ، 256/8 .
- (47) البداية والنهاية ، 256/8 . ورد الحديث عند: ابن حنبل ، المسند ، 105/9 ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، 41/8 ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، 1360/3 .
- (48) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 75/3 .
- (49) المصدر نفسه ، 49/4 .

- (50) ميزان الاعتدال ، 440/4 .
- (51) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، 275/5 .
- (52) البداية والنهاية ، 256/8 .
- (53) هذه الابيات وردت ايضا في الاخبار الطوال لابو حنيفة الدينوري في صفحة 267 ؛ وكذلك وردت في تاريخ الطبري في نص الرسالة التي كتبها المعتضد العباسي والتي بين فيها الجرائم والموبقات التي ارتكبتها يزيد في الجزء 60/10 .
- (54) البداية والنهاية ، 246/8 .
- (55) الطبري ، تاريخ الطبري ، 496/5 ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، 14/6 .
- (56) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، 351 ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، 498/5 ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، 15/6 .
- (57) البلاذري ، فتوح البلدان ، 55 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، 22/6 .
- (58) التنبيه والاشراف ، 263 .
- (59) مسكويه ، تجارب الامم ، 90/2 .
- (60) البداية والنهاية ، 247/8 .
- (61) المصدر نفسه ، 247/8 .

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668هـ)
1. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت
 - ابن اعثم الكوفي ، ابو محمد احمد (ت 314هـ)
 2. الفتوح ، تحقيق علي شيري ، ط 1 ، دار الاضواء ، بيروت (1991م)
 - البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ-870م) .
 3. التاريخ الكبير ، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان ، دار المعارف العثمانية (حيدر آباد) 0
 - البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ-892م) .
 4. فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت - 1408هـ/1988م)
 - الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت 255هـ-869م) .
 5. البيان والتبيين ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي ، ط 1 ، دار صعب (بيروت ، 1968)
 - ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ-1201م) .
 6. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ت محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 دار الكتب العلمية (بيروت ، 1412 هـ - 1992 م)
 - ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت 354هـ-959م) .
 7. الثقات ، مراقبة محمد عبد المعيد ، ط 1 ، دائرة المعارف العثمانية (الهند - 1393 هـ / 1973 م) .

- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت 656هـ-1258م).
8. شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.
- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال (ت241هـ/855م).
9. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط2 ، مؤسسة الرسالة (1420هـ / 1999م).
- أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت 282هـ)
10. الأخبار الطوال ، تحقيق: عبد المنعم عامر ، ط1، دار إحياء الكتب العربي ، القاهرة (1960 م)
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ /1405م).
11. العبر و ديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط2 ، دار الفكر (بيروت، 1988م).
- الذهبي ، شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أحمد (ت 748 هـ / 1347 م).
12. تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام ، ط2 ، دار الكتاب العربي (بيروت-1413هـ/ 1993 م).
13. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي، ط1 ، دار المعرفة (بيروت - 1382 هـ / 1963 م).
- السيكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ-1369م)
14. طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو ، ط2 ، دار هجر (1413هـ).
- ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت230هـ/844م)
15. طبقات ابن سعد ، تحقيق عبد العزيز عبد الله ، مكتبة الصديق (الطائف -1416هـ/1995م).
- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ/1505م).
16. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش ، ط1 ، 1425هـ(2004م)
- ابن شاعر الكتبي ، محمد بن شاعر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت 764هـ/1362م).
17. فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، ط1 ، دار صادر (بيروت).
- الصفدي، خليل بن ايوب (764هـ-1362 م)
18. الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط ، دار احياء التراث (بيروت -1420/2000م).
- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم(ت360هـ-971م)
19. المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، مكتبة العلوم والحكم (الموصل-1404/1983م).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ /922 م)
20. تاريخ الرسل و الملوك ، المطبعة الحسينية (القاهرة).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد(732 هـ -1331م).
21. المختصر في أخبار البشر، ط1 ، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة - 1325 هـ/1907م).

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ).
22. الإمامة والسياسة تحقيق، خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت (1418هـ - 1997م).
23. عيون الأخبار، دار الكتب العلمية - بيروت (1418 هـ)
24. المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة القاهرة (1992 م)
- ابن كنير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ - 1372 م) 0
25. البداية و النهاية، تحقيق علي شيري، ط1، دار التراث العربي، (1408هـ - 1998م)؟
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ - 957م)
26. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، دار الهجرة (قم - 1404هـ / 1983).
27. التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي (دار الصاوي - القاهرة)
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)
28. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ)
29. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط2 طهران (2000 م)
- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت نحو 355هـ - 966م).
30. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (بور سعيد).
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ - 1311 م).
31. لسان العرب، ط3 دار صادر (بيروت - 1414هـ / 1993م).
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت بعد 292هـ - 905م)
32. تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت - لبنان)
- محسن الأمين،
33. اعيان الشيعة، دار التعارف (بيروت).
- الرمضان، حيدر جميل
34. الاغتيال بالسم في الدولة العربية الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة واسط/ كلية التربية (2014هـ - 1435م)

The efforts of the historian Ibn Kathir in improving the image of Yazid ibn Muawiya

Assist Prof. Dr. Arkan Hamid Ziad Al-Ajmi

Sumer University -College of Education



arkanalagme@gmail.com

Keywords: Ibn Kathir, overlooking mistakes, the arrow and major sins

Summary:

The research chronicles a historical phenomenon that emerged in the ideas of some historians of Islamic history, including the historian Ibn Kathir; which is the improvement of the image of Yazid ibn Muawiya and the overlooking of his mistakes and justifying them. Due to the significant danger of this phenomenon, we have highlighted it in this research and divided it into several axes. In the first axis, we explored the historian's attempts to describe Yazid as wise and intelligent. The second axis detailed the weighing of narratives, accepting and rejecting them. The third axis discussed how the historian portrayed Yazid as good at management and politics. The fourth axis addressed his justifications for Yazid's non-involvement in the poisoning of Imam Hassan (peace be upon him) and the events of Karbala. The fifth axis exonerated him from the crime of the incident of Al-Hurra and the destruction of the Kaaba.